بحسب قوابلهم باختيارهم ولم يكونوا في دواعيهم وما يميلون اليه مجبورين عرفت مقدمة معرفة
ان الله خلق كل شيء حتى المعاصي ولم يكن فاعلا لها وبقي تمام المقدمة وهو ما **قلت** واذا خلقه
على ما هو عليه فانما خلقه على مقتضى سبب ايجاده وقبوله للوجود وذلك بالاسباب الخارجة عن حقيقة
ما افاضه الله بذات فعله وان كانت بعوارضه وتلك الاسباب لتغير الحقائق بحكم الوضع وتلك
المقتضيات من افعال الخلق واوضاعهم فلو خلق على غير المقتضى لكان قد منع ما اعطى وابطل ما قدر
اقول من تمام ما ذكرنا من المقدمة وهو ان معنى قولنا انه خلقه على ما هو عليه انه خلقه
على مقتضى سبب ايجاده وقبوله للوجود هو انفعاله بحيثيته وكيفه ووقته ومكانه وجهته و
رتبته واوضاعه وكلها منسوبة اليه لانها اجزاء ماهيته وليست من فعل الله اولا وبالذات بالنسبة
الى تشخصها وان كان بفعل الله ثانيا وبالعرض ومعنى كونها بالعرض بالنسبة الى تشخصها ان شيئا
من هو مخلوق في نفسه بالذات من حيث نوعيته بل كليتها كلية لكنها باعتبار اختصاص بعض الافراد
ببعض حصص منها لم يكن التخصيص الا باقتضاء المفعول فكان التخصيص بالعرض لانه للاقتضاء لا لنفسه
وهذا معنى قولنا وذلك بالاسباب الخارجة عن حقيقة ما افاضه الله بذات فعله وان كانت بعوارضه
لان الذي افاضه الله بذات فعله هو الوجود خاصة اعني المادة الكلية المسماة بالهيولى الاولى
والمواد الجزئية ذوات منها كالورق من الشجرة وحصص منها كالذر من جوهر الهباء هذا هو المفعول
واما اسباب قابلية للايجاد فاشياء يقتضيها المفعول من نفسه عند توجه الايجاد اليه فلما توقف
قبوله عليها خلقه له فهي مخلوقة بالعرض وبها تغيرت الحقائق واختلفت فهي باقتضاء المفعول
لها وتغاير حقائقها واختلافها بسبب تغايرها ما قد جرى عليها الايجاد بحكم الوضع لكون تلك
منها اسبابا ومنها موانع او شروطا وتلك المقتضيات كلها من افعال الخلق واوضاعهم كما ذكرنا
فان خلق الاشياء على غير ما تقتضيه كان قد منع ما اعطى وابطل ما قدر فانه منع اعطى الحديد انه يقطع
والنار تحرق والبذر اذا وضع في الارض ينبت والنطفة اذا القيت في الرحم يتخلق منها الجنين وهكذا
فاذا اراد الظالم ان يقتل المؤمن بالسيف ويحرقه بالنار ويغصب حنطة ويزرعها في ارض مغصوبة

ويسقيها

ويسقيها بماء مغصوب والزاني وضع نطفة في رحم الزانية فان منع الحديد ان يقطع والنار ان تحرق
والحنطة ان تنبت والنطفة ان تتخلق كان قد منع ما اعطاها ويلزم من ذلك ان الحديد لا ينفع في
الجهاد والنار لا تنتفع بها العباد والحنطة لا تنبت عند الكهام مع كمال الاستعداد والنطفة الحلال
لا تكون منها الاولاد ويفسد النظام ويبطل فائدة الايجاد وان خلق الاشياء على ما تقتضيه
طبائعها التي خلقها عليها لمصلحة العباد قطع الحديد راس المؤمن والنار احرقته والحنطة تنبت عند
الظالم ونطفة الزاني يتكون منها ولد الزنا وليس الله معينا للمرء عصاه فلم يقتل المؤمن وانما قتله الظالم
او احرقه بالنار ولم يعن الغاصب لحنطة المؤمن ولم يأمر بالزنا فمعنى قولنا ان الله خلق الكفر انه
اذا كفر عبده طبع الله على قلبه بكفره كما قال تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم
ومعنى ان الله خلق المعاصي انه خلق مقتضاها ولوازمها كما مثلنا لك به والاخبار الواردة في
هذا الباب كثيرة لا تكاد تحصى كلها من هذا المعنى وهو معنى ما **قلت** مثلا خلق الحديد يقطع
ولا يقطع الا باذن الله فاذا ذبح زيد عمرا ظلما بالسيف فان لم يوجد الله الذبح بمقتضى فعل زيد
والحديد لكان قد منع الحديد ما خلقه عليه فلم يكن الحديد حديدا ومنع زيدا مقتضى فعله فلم يمكن زيدا
من فعل المعصية فلم يقدر على الطاعة لانها لا تتحقق الا بالتمكن من المعصية واذا لم يمكن لم يحسن
ايجاده ويبطل الايجاد من اصله والوجود الذهني حدث عن الله بهذا النحو **اقول** مرادي من قولي
ان الحديد لا يقطع الا باذن الله ليس كما تزعمه الاشاعرة بان القاطع هو الله لان الاسباب في الحقيقة ليست
اسبابا وهو غلط لانه يلزم الجبر بل الاسباب اسباب في الواقع والحديد بنفسه هو القاطع بالمشاركة
مع الله عز وجل في القطع وانما مرادي انه تعالى اعطى الحديد القطع وجعله يقطع بنفسه ولكن الحديد
والحركة من الفاعل والقطع قائمة بامر الله قياما ركنيا وبفعل الله قياما صدوريا وهي شيء
يحفظ الله فما دام الله حافظا لوجودها بامره وفعله فهي شيء يفعل بها او يدع من الفعل المحفوظة
بقبضة الله اذ لو خلاها من يده لم تكن شيئا اصلا فان لم يوجد الله الذبح الذي هو اثر فعل زيد بمقتضى
فعل زيد لم يكن زيد ممكنا عن فعل المعصية واذا لم يكن ممكنا من فعل المعصية لم يكن ممكنا من فعل الطاعة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1